الاستشراق الاصولي: رؤية في الفلسفة الدينية للاستعمار الثقافي

Fundamentalist Orientalism: A vision in the religious philosophy of cultural colonialism

م.د. عامر محمد مهدي

جامعة بغداد

Dr. Amer Mohammed

University of Baghdad

amer.m@uobaghdad.edu.iq

009647706153576

الخلاصة

رغم محاولات الاستشراق الجديدة والهجمات التبريرية للشرق، عمليات الغزو وتوسع حملات الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ونقل مقر السفارة الأمريكية للقدس بعد ما سمي بـ "صفقة القرن" التي تفاوضت إيران وتركيا نيابة عن الطرف العربي، وليس الأمر متعلق هنا بفشل الاستشراق، ولكن فشل الشرق نفسه في معالجة الأخطاء التي وقع فيها، كذلك فشل في رد الاستشراق الذي فشل هو الأخر في التعامل مع المنطقة وفق النظرية البوبرية كبديل عن البنجورونية، والأمر طبيعي لأنه نزعة استعمارية هدفها النفط وأمن إسرائيل، وهذا ما يهدد الأمن منظومة القومي العربي الذي جاء في منظور الاستشراق الجديد بأنهُ رغبة للإجهاز على ما تبقى من كتلة ممانعة، ومعارضة للغرب الاستعماري على الأقل ممانعة بوصفها خطاب رسمي.

فيما يمكن القول بنوع من التهكم بأن فشل الاستشراق القديم أتاح الفرصة لبروز العولمة، فيما ثبت فشل الاستشراق الجديد كان مقدمة لظهور مرحلة ما بعد الاستشراق وهي دلالة كافية لفشل الفعل لتظهر الردود متلاحقة على شكل صدمات، انتقادات، روافض، معترضات، لن تنتهي بغير مواجهة حقيقية وهذا ما يهدد مستقبل الشرق الأوسط على مدى العشرين سنة القادمة خاصة إذا ما نظرنا إليه من منظور لاهوتي صارم التوراة والقرآن.

وأشد ملاحظة يمكن أن نسجلها هنا في المأثر والطعون هو أن الاستشراق نتاج لتدوين الغربيين الحانقين على الشرق أو الخائفين من عودة الإسلام (حلم فتح الاندلس)، وهنا يتأكد لنا وصف الاستشراق، هذه التصورات السلبية هي من أسست الاستشراق، وغذت الاستعمار بالمقدس والديني والموناد اللاهوتي من أجل السيد المسيح حتى بات حتمياً أن يصور جورج بوش (الأبن) وهو يقتل أطفال العراق ويبيد أكواخهم على أنه المسيح العائد ثانيةً ليقدم خدمة جليلة للرب.

المخيف في نظريات الهيمنة الأمريكية أنها قلب طاولة القيم على بعضها، وكركبتها، فلم تعد البيغيدا، والإسلاموفوبيا مرض نفسي غربي من الإسلام، بل أصبحت الإسلاموفوبيا داخل المحيط العربي الإسلامي، الخوف من الإسلام على المسلمين، وهذه هي فكرة تعاطف الاستشراق مع نظريات الهيمنة والاستثنائية الأمريكية، أن تخلق عدونا من داخلنا بأسم الأصولية الدينية، بصيغتها الإسلاموية الراديكالية كتدمير لمقدرات المجتمعات العربية من الداخل، وهذا هو جديد الاستشراق، باستهلاك كامل للمقدس.

كلمات مفتاحية: الفلسفة ، اللاهوت، السياسية، الاستشراق، الأصولية ، الاستعمار.

Abstract

Despite the new attempts of Orientalism and the justification attacks of the East, the invasion operations and the expansion of the Zionist settlement campaigns in Palestine, and the transfer of the headquarters of the American embassy to Jerusalem after the so-called “Deal of the Century” that Iran and Turkey negotiated on behalf of the Arab side. The matter here is not related to the failure of Orientalism, but rather the failure of the East itself to address the mistakes it made, as well as its failure to respond to Orientalism, which also failed to deal with the region according to the Popperian theory as an alternative to Pan-Goroneism, and this is natural because it is a colonial tendency whose goal is oil and the security of Israel. This is what threatens the security of the Arab nationalist system, which was stated in the perspective of neo-Orientalism as a desire to eliminate what remained of a bloc of resistance and opposition to the colonial West, at least resistance as an official discourse. While it can be said with a kind of sarcasm that the failure of the old Orientalism provided the opportunity for the emergence of globalization, while the failure of the new Orientalism was proven to be a prelude to the emergence of the post-Orientalism phase,

which is sufficient indication of the failure of action for successive responses to appear in the form of shocks, criticisms, rejections, and objections that will not end without a real confrontation. This threatens the future of the Middle East over the next twenty years, especially if we look at it from the strict theological perspective of the Torah and the Qur'an.

The most severe observation that we can record here in the Discourses and Appeals is that Orientalism is a product of the codification by Westerners who are angry with the East or who are afraid of the return of Islam, the dream of conquest of Andalusia. Here, the description of Orientalism confirms to us that these negative perceptions are what founded Orientalism, and fueled colonialism with the sacred, the religious, and the theological monad for the sake of the Jesus Christ, until it became inevitable that George Bush (Jr.) would be portrayed as he was killing Iraqi children and annihilating their huts as Christ returning again to provide great service to the Lord.

What is frightening about the theories of American hegemony is that they have turned the table of values against each other, and brought it to its knees. Pegida and Islamophobia are no longer a Western psychological disease of Islam, but rather Islamophobia

has become within the Arab-Islamic environment. Fear of Islam for Muslims, and this is the idea of Orientalism's sympathy with theories of hegemony and American exceptionalism, to create our enemy from within us in the name of religious fundamentalism, in its radical Islamist form, as a destruction of the capabilities of Arab societies from within. This is what is new in Orientalism, with its complete consumption of the sacred.

Keywords: Philosophy ; Theology ; Political ; Orientalism ; Fundamentalism ; Colonization.

مقدمة

وضع علم اللاهوت المسيحي في القرن السابع الميلادي الإسلام بعد ظهوره في مناطق واسعة من العالم فهم جديد متكرس في الإساءة والنقد للإسلام وطرحه كمشكلة في الغرب أو في الشرق، بعد أن صبت أفكاره في قوالب الفكر اللاهوتي، والتصورات الرؤيوية للأحداث على ان الإسلام بشارة بنهاية العالم والقضاء عليهم سيوصل المسيحية إلى منتهاها الأخروي الذي يحكم فيه السيد المسيح في مجيئه الثاني الألفية السعيدة _ لألف عام قادمة _، واستمر هذا النزيف العقائدي للاستشراق الغربي يتوغل في أعماق الشرق الأوسط وفي البلدان العربية خاصة باعتبارها حاضنة الإسلام ووعائه الاول، ولأن الاستشراق ظاهره تطورية، تخضع كما بقية الظواهر الاجتماعية والسياسية، فأن نموها كان مرحباً باتجاه الصبغة الإيمانية والتحالف مع الظاهرة الدينية، وهذا ما اجترينا تسميتهُ بـ "الاستشراق الأصولي" المتحالف مع النص والمتطابق مع

الأرض (جغرافيا الشرق الأوسط)، كان دخول اليهود على الخط أمر مرحب بهِ، لإيلاء الدور التاريخي لهم في منطقة الشرق الاوسط والاستفادة من خزينهم التاريخي وتراثهم الديني كالتوراة لأن تفسير الغزو الاستشراقي على أنه مخطط الله لظهور المسيحي مع اشتراطات سابقه على ظهوره في مقدمتها قيام "دولة إسرائيل الكبرى" بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات بمعنى العمل الاستراتيجي للوطن العربي، حيث لا عرب بعد النيل والفرات كقوة تاريخية وحضارية وثقافية، نستطيع من هنا تحديد مسار الاستشراق الجديد بثمة خطوات: **الأولى:** تشويه صورة الشرق الإسلامي، **الثانية:** التحالف مع المقدس لشرعنة تبرير الغزو وإبطال المقاومة لهُ، **والثالثة:** تمزيق وحدة الشرق لتسهيل هضمه، **والرابعة:** الاستفادة من الفكر الرؤيوي لنهاية العالم لتطبيقات الفكر الأصولي المسيحي الصهيوني وهذا ما سنركز عليه في هذه الدراسة على اعتباره الاستشراق الجديد هو استشراق أصولي بحت، وعلى **(فرض عام):** أن الأصولية هي محور الاستشراق ومغذّيهُ ودافعهُ الجديد نحو الشرق الأوسط إذا ما نظرنا للنبوءات وأستدعاءات الرؤية أو إذا ما لمسنا حقيقة الأصولية المسيحية الصهيونية ومتقابلاتها، وهنا يظهر **(إستشكال الدراسة)** في صيغة **(سؤال دراسة)** هو: هل توجد علاقة بين المقدس والاستعمار، وما هي مغذيات الدينية للاستعمار والحملات الكولونيالية لمنطقة الشرق الأوسط، وثمة أسئلة أخرى.

أما **منهج البحث**، سوف تركز الدراسة على منهج التدوين التاريخي لتتبع تأسيسات النصوص الدينية، بالإضافة إلى منهج التحليل الوصفي.

هيكلية الدراسة: تنقسم الدراسة إلى سبعة محاور **المحور الأول:** الإسلام والغرب في ضوء الأصوليات الدينية، **المحور الثاني:** في مضامين الإسلاموفوبيا والبيغيدا، **المحور الثالث:** نسالة الاستشراق الجديدة: التوراة والاستعمار، **المحور الرابع:**

الاستشراق والأصولية المسيحية الصهيونية، **المحور الخامس:** الاستعمار والدين: نموذج جديد للحروب الصليبية، **والمحور السادس:** الاستثنائية الأمريكية، **المحور السابع:** نظريات الهيمنة الأمريكية أم نظريات الاستشراق الأصولي، بالإضافة للاستنتاجات والخاتمة.

المحور الأول: جدل الإسلام والغرب في ضوء الأصوليات الدينية

يُعد وضع جدلية الإسلام والغرب في قوالب لاهوتية أمرٌ قد يشوه من جوهر العلاقة التاريخية بينهما وتحريف للحقيقة عن مسارها إذا ما نظرنا للحكم الإسلامي في أوروبا، أو للمسيحيين في الشرق الآن، لكن هذه القوالب أصبحت واقعة حقيقية يعيشها العالم في الشرق الأوسط أو داخل البيئة الغربية، الأمر الذي يدفعنا إلى النظر إلى مترتبات تلك العلاقة ومأثرها، في وضعية الاستشراق واهدافه الاستعمارية ونياتهِ من القدوم للشرق، حيث أشد الملاحظات على الاستشراق الجديد هو تحالف الدين مع السياسة، وتطابق الأرض مع التوراة في حالة الغزو، والأرض مع القرآن في حالة المقاومة والدفاع ليتشكل لنا نسيج جديد وخليط متجانس من الاستشراق والأصولية، ليس الاستشراق الأصولي وحده، بل تنشطر منهُ انقسامات حادة أفقياً مثل الأصولية الجغرافية القائمة على "لاهوت الأرض المقدسة"، حيث بابل، القدس، سيناء، النيل، الفرات، السامرة، نهر الأردن، الجزيرة، سوف لن تترك مجالاً للسلام في الشرق الأوسط بعد توثيق الصلة بين المقدس والأرض، الاستيطان الصهيوني 1948، احتلال بغداد 2003 صفقة القرن التاريخية 2020 لم يعد هناك ثمة فكاك بين المقدس والتاريخي، ولا إسباغ حسن النية بالاستشراق الذي عمدتهُ الأصولية فدمجت بين الاستشراقين: الاكاديمي والأمني، حتى فقد الأول معياريتهِ وأتبع نهج الثاني لتخفي أوجه الاستشراق الاكاديمي (الإيجابية) التي كان من الممكن أن تصلح صورة العلاقة بين الإسلام

والغرب، فالإسلام كما الغرب نظام سياسي _ ديني وإن جاء لاحقاً في بدايات الإسلام المرحلة المدنية بدل المرحلة المكية[1] لتقام أول دولة إسلامية في الأرض، لا تختلف كثيراً عن أي دولة غربية توافق بين الدين والدولة، وليس بصحيح أن يكون الإسلام دين عاجز في الاندماج مع المعاصرة أو الاستجابة لمتطلبات المرحلة.

لنستقيم على خطر حتمي واقع تتجلى جذواه في نظرة الغرب للشرق على أنه خصم تاريخي، قامت على أساس صدام الحضارات الذي من الخطأ أن نتصوره قد بدأ مع صموئيل هنتنغتون، إطلاقاً في أن دور صدام الحضارات سيهيمن على السياسة العالمية[2] الأمر سابق لهنتغتون بكثير، نستطيع تحديد بدايات الاستشراق الأصولي مع تتبع جذور تأسيس عقيدة التدبير الإلهي، التي أعطاها جون نيلسون داربي (1800_1882)، أباً للاهوت الحقبات وأكثر الوجوه تأثيراً في تطور المسيحية الصهيونية، و"سايروس إنجيرزون سكوفيلد" (1843_1921) صاحب نظرية الحكم الألفي السعيد، عَلمَ داربي _ وبعده سكوفيلد _ أن الله يعمل بوسيلتين منفصلتين ولكنهما متوازيتين من خلال إسرائيل ومن خلال الكنيسة، لهذا أوجدا تمييزاً بين إسرائيل والأغيار والكنيسة، وبالتالي أعطيا أبعاداً ختامية وخلاصة لنهاية العالم شرط أن يلتهب الشرق الأوسط برمتهِ، وأن يتحول إلى صفيح ساخن يعج بالاضطرابات والقلاقل، وتتمحور التدبيرية عند داربي في حول الاعتقاد بأن الكتاب المقدس ينقسم إلى سبعة حقبات واضحة المعالم فيما لو طبق التفسير الحرفي للنص المقدس وهنا تتضح أصوليتهِ على عُلاتها حتى عدهُ "ستيفن سايزر" في كتابه (الصهيونيون المسيحيون)

بأنهُ الشخصية الأكثر تأثيراً في تطوير الصهيونية المسيحية[3] فيما يختلط فكر سكوفيلد الديني في طروحات داربي معتقداً أن الأناجيل موجهة أساساً إلى اليهود وليس إلى المسيح، وأن قيام دولة إسرائيل هي بمثابة التدخل الإلهي وأن معركة هرمجدون وشيكة الحدوث[4] وهذه كلها تمخضات نجمت عن ولادة استشراق أصولي، سيكون الرائد في مجال تقويض السلام (الكانطي) في الشرق الأوسط وإحلال الفوضى الخلاقة (الهوبزية)، بل تصدر الأصولية بشكل قطعي في المنطقة ونحن الآن نُقيم بين أخطر ثلاث أصوليات عالمية: أصولية صهيونية (إسرائيلية)، أصوليتين إسلاميتين: إيرانية (فارسية)، أصولية سلفية جهادية (عربية سعودية)، كرست فلسفة صدام الحضارات أو المواجهة الحتمية في إطار الفكر النبوئي ومتبنيات اللاهوت واستدعاءات الرؤيا، قيمة الاستشراق الأصولي تحالف الكنيسة مع إسرائيل، وهذا ليس وليدة الصدفة قطعاً.

قد لا نتحرج من القول بأن الاستشراق الأصولي قد بدأ مع "كريستوفر كولومبس" تماماً، ولم تكن رحلته في أعماق البحار عبثية، أو اعتباطية، بقدر ما كانت حركة تبشيرية بامتياز، وكولومبس ليس رحال وإنما كاهن أبيض مبشر بمسحنة العالم (فكرة فوكوياما بقبول العالم الليبرالية الرأسمالية لاحقاً)، فاكتشاف أمريكا هو اكتشاف "أمة تبشيرية"[5] وانتصار المسيحية العالمي هو المحرك الأساس لكولومبس وهو الرجل المتدّين الوَرع المُخلص للمسيحية الذي لم يبدأ الإبحار إلا يوم الأحد[6] يوم القداسة المسيحي، ويدعو حسن خاتمة بالإخلاص للإنجيل، متحالفاً ما ملك اسبانيا لجلب المال لأوروبا وانتعاشها اقتصاديا لتبدأ عمليات التبشير المسيحي من خلال الحروب

الصليبية، ودليل ذلك نهضة وانتعاش أوروبا ونجاح الثورة الصناعية والتكنولوجية حدث كل ذلك بعد اكتشاف كولومبس لأمريكا تماماً، وهذا يعني ضرورة تحقيق أمرين، **الأول:** خلق عدو مؤثر يهدد مركز المسيحية، **والثاني:** التحشيد لمحاربته ورد الخطر عن المسيحية، ألم تنجح الأصولية المسيحية من تشكيل شرق أوسط جديد بين متلازمة الغزو والمقاومة، أو منوية الحرب والاستشراق وممانعتهِ.

ومعنى هذا ارتباط الاستشراق منذ البداية البعيدة بمحاولة الكنائس البروتستانتية، ثم الكاثوليكية، أن تعرف أكثر عن موطن المسيح، وأن تعرف أكثر عن المسلمين خصوم المسيحية الألداء[7] والمتغير الجديد اليوم فقط هو إبدال المسيحية بالأصولية، الأمر الذي أعطى صورة سيئة عن السيد المسيح كمؤيد للنهب الاستعماري، وداعي لتحالف السيف مع المقدس، توغل في أعمق المساحات الفكرية والسياسية، أصبحنا نواجه حتى أنثروبولوجيا أصولية.

بينما مر تطوّر أنثروبولوجيا الشرق الأوسط في مغالبة الطابع الأصولي على الاستشراق، في أربع مراحل بنظر "ريتشارد أنطون"، هي: مرحلة سيطرة المستشرقين، مرحة الرَّحالة والإداريين السياسيين في العصر الاستعماري، أي الأنثروبولجيين الهوّاة، ومرحلة سيطرة علماء الانثروبولوجيا المحترفين، وأخيراً مرحلة سيطرة الانثروبولوجين المحليين[8] لا يمكن النظر لأي مشروع انثروبولوجي لأرض الشرق بدون النظر للاستشراق ذاته، فيما نتخيل من خلال الاستشراق الأصولي، صورة انثروبولوجيا أصولية هي الأخرى، تنظر للمجموعات البشرية من منطق إيمان وكفر، مواطنين وأغيار (أشرار)، وللسكان عامة على أسس لاهوتية صلدة، مع إننا سنكتشف لاحقاً عن توظيفات للدين في غير محلها، ولكن الفكر اللاهوتي كان أكثر بصيرة في مناهج

الاستشراق ورسم صورة للعالم الجديد في ظل المركزية الامريكية، حيث استمرار مدرسة لبرا (Libre) وجماعة طلال أسد، جيرار لكلرك، فريد هاليدي، سامي زبيدة ينظرون إلى الانثروبولوجيا في إطار النقد الاستعماري[9] ما يعني تلاحم صورة شديدة التمازج بين الاستشراق وطموحاته الإمبريالية وبين فواعل الأصولية كدوافع نحو النهب الاستعماري للشرق الأوسط، نحن ندرك حجم الأخطار البالغة من الاستشراق، ولكن هل أن الإسلام بالفعل دين يستحق التحامل، أو جماعة بشرية تهدد أمن القارة الأوروبية وعموم الغرب.

المحور الثاني: في مضامين الإسلاموفوبيا والبيغيدا

يرمي الاستشراق الجديد إلى الاستفادة من محاصيل الأصولية الدينية التي نقلت المقدس إلى الفعل الدنيوي وجردتهُ من القداسة والهّالة والرهبة مع أنها زادتت عدييد المحرمات ووسعت حقل التابوهات إلا إنها في الحقيقة أخفت صورة المقدس كاملةً بتحميلها إضافات قدسية جديدة شوهت المقدس الأصل وجمدت روحانيتهِ، حتى أساء البعض لفهم النص لدرجة ازدرائه وهتكه، وبالنتيجة تحويله إلى وسيلة بدل الغاية، ليجد الاستشراق مرونة في التلاعب بالمقدس ومحاولة مطابقتهِ مع فكر الاستعمار في المرحلة ما بعد الكولونيالية المتنامية بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة[10].

وبغض النظر عن إساءة الظن فأن غائية الاستشراق مفهوم مرادف لكلمة الاستعمار في سعيها لربط العالم الإسلامي بالدول الاستعمارية وتغيير هويتها وثقافتها[11] وضع العلاقة بين الإسلام والمسيحية في تحدٍ جديد تشكل على ضوئه

مقاومة جديدة مثل الجهاد بدل المقاومة، دار الكفر والإيمان بدل الشرق والغرب، فتح الاندلس بدل مفهوم إسبانيا، أسلمة الغرب بدل الاندماج في المجتمع الغربي، ليعبر عن ردة فعل جديدة تشكل أحدى إبداعات الاستشراق الأصولي وهي الإسلاموفوبيا والبيغيدا لمناهضة المسلمين في أوروبا والغرب، تبنتها جهود "داربي" ونعني بها الأصولية المسيحية الصهيونية بركائزها الراديكالية: اليمين المتطرف، اليمين الديني المسيحي، المحافظون الجدد في الغرب، ساعدت الصورة السيئة للإسلام بريشه الاستشراق على إساءة العلاقة بين الإسلام والغرب عكس ما كانت عليه في زمن إسبانيا الإسلامية والحكم الإسلامي، لأسباب أبرزها وأهمها هو النظر لنهاية العالم من منظور لاهوتي يحتم على المسيحيون المخلصون تعضيد علاقتهم مع إسرائيل، وتحالف الأخيرة مع الكنيسة، واحتمالية اعتناق اليهود المسيحية لينقذهم المخلص في التدبير الإلهي الخير بحسب داربي وسكوفيلد، مما تباعدت البروتستانتية عن المسيحية التقليدية واقتربت كثيراً من اليهودية والمشروع الصهيوني وهذا خلل مربك في العقيدة المسيحية لكن لُجم بحجة الحكم الألفي السعيد، كان لزاماً أن يشتد ضغط الكراهية على الاجانب الأغيار (عرب ومسلمين) لتعضيد تقارب البروتستانتية مع اليهود من أجل الأرض والثروة والمقدرات، لهذا تطابقت التوراة مع الأرض في القدس، أورشليم، بابل، سيناء، النيل، الفرات، وغيرها.

فالإسلاموفوبيا تعني بكراهية الأجانب أو المخاوف المرضية من الأجانب أو الكراهية العميقة للأجانب ليتحول الخوف ليُصبح أحد العوامل الرئيسة التي أثقلت ظُلماً كاهل الإسلام[12] بهدف توّظيف قضية الإسلام لصناعة "عدو داخلي"[13] فيما تعني البيغيدا

بأنها الحملة الوطنية الاوروبية لطرد الاجانب، أي أن الإسلاموفوبيا عرفت العدو لأوروبا، وأناطت للبيغيدا حملة مشروع طردهم إعادتهم لأوطان الأجداد، بالوقت الذي كان أحد الدوافع الرئيسة لتشكلاّت الأصوليات الدينية المضادة في الشرق، والخميرة الصالحة للدفع في طور المواجهة العالمية بين الأصوليات؛ كهدف استشراقي _ أصولي متوافق.

المحور الثالث: فلسفة الاستشراق الجديدة: التوراة والاستعمار

بعد نهاية الحروب الصليبية بنهاية القرن الثالث عشر، لم يبق أمام الغرب من اهتمام بالعالم الخارجي مع بقاء اسبانيا تحفد حتى تحرير جزيرة إيبيريا من المسلمين عدا غرناطة حينذاك، وهذا يعني أن نهاية الاستشراق بالمعني الاستعماري، المتزامن مع تراجع للكاثوليكية بعد محاولات الإصلاح من الداخل حتى بلوغ عصر الإصلاح الديني (من الخارج) الذي أطاح بالكاثوليكية بثورة مهاجرين تبنوا المذهب الجديد الذي أسسه مارتن لوثر (البوريتان) ثم البروتستانتية تالياً، والتي أعطت مسحة جديدة للاستشراق، لم تكن مسبوقة في عهد الكاثوليكية، وهي المسحة الأصولية للقيم والظواهر، المعطيات، الأهداف، بما فيها الاستشراق الذي استسغنا تسميتهُ بـ "الأستشراق الأصولي" القائم على خزين التقارب البروتستانتي _ اليهودي، لربط الأرض بالمقدس وتطابقهما لضمان بقائها تحت سيادة إسرائيل المتحالفة مع الكنيسة، وهذا هو النوع الديني الجديد الذي يطرح نفسه على الساحة الفكرية والسياسية.

إذ يتصل الحلم اليهودي التوّسعي بالعهد القديم (التوراة) عبر المسيحية الصهيونية التي تنظر للرؤى والنبوءات مصدر العقائد ومنتهى الآمال، واستغلال الأحداث التاريخية والسياسية _ خاصة في منطقة الشرق الأوسط _، للتبشير بقرب نهاية العالم

وعودة المسيح[14] ووضع خارطة مستقبلية/ تأملية لدولة "إسرائيل العظمى" من النيل إلى الفرات_ متجاوزة لحدودها الآنية ما قبل صفقة القرن _، وعدم القبول بالوضع الحالي "إسرائيل الصغرى" المنقوصة في حدودها التوراتية التي وضعتها لأرض إسرائيل لتشمل أقصى حدودها المعروفة[15] ومرجعها اللاهوتي جاء في "سفر التكوين": "سأعطى نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرات"[16] وعلى ضوء ذلك قامت النظرية الصهيونية ونضالها لاقتضاء حقهم الهضيم في فلسطين أرض الميعاد تحت أمرة حاكم من نسل داود[17] إذ ما زال الحلم الإسرائيلي (التوراتي) قائم على حدود "إسرائيل التوراتية" ما بين مصر والعراق، وفلسطين منهُ قلب الشرق الأوسط، مع أنها حقيقة لاهوت الأرض المقدسة إلا أنها لا تعدو أن تكون أخروفة وقصة خيالية مجتزه من التوراة العبرية[18] لاختلاق تاريخ إسرائيلي مزور يدعم السياسة بالنبوءات التوراتية، سيقت على أنها حقائق قطعية تبعاً لحرفية النص التوراتي الذي لا يقبل المساس بإسرائيل والكنيسة في آن واحد.

أعادت بعض الفرق اليهودية والماسونية كتابة النصوص المقدسة بالكامل، التوراة على التحديد إضافة للترجمات التي تقتل روح النص وتشوهه، فتخيل مؤلف الكتاب الاول لإخنوخ: الله وهو يمزق الأرض والوحي الموسوي أرباً على طور سيناء ليبدأ من جديد بسجل طاهر وجزع مؤلف اليوبيل الذي كان يقرأ على نطاق أوسع حتى القرن

الثاني الميلادي من قسوة بعض الكتابات المبكرة[19] وتعنيفها طارحاً أسئلة من قبيل عدم توافق رسالة التسامح الديني مع أسلوب ترجمة النصوص المقدسة، وهي رسالة لتأكيد أصولية جغرافية؛ كامتداد للأصولية الصهيونية الدينية _ السياسية، لإتمام مشروع الصهيوني في فلسطين.

أننا ننظر باهتمام إلى ترسيخ الاعتقاد اليقيني بتحريف الكتاب المقدس وتزويره، لأن التوراة لا يمكن أن تكون بهذا الشكل "العزروي" _ أي نص عزرا _ المطروح الآن بصيغتهُ في السوق الديني للعبادات؛ لأن التوراة اليوم هي هوية إمبريالية وطموح استعماري جلي بفحوى ومسحة أصولية، ونزعة "سكوبائية" عدوانية، إقصائية، تتفق تماماً مع الصهيونية؛ كحركة عنصرية راديكالية، فإن لم نقل بتزوير التوراة فأننا سنوافق على لا قدسية التوراة، وتزويرنا لها وتأكيد تحريفها فهو ما سيضعنا إلى جانب اليهود المعارضين للمشروع الصهيوني من علمانيين أو حريديين، بالإضافة المسيحية التقليدية، وكل مناهض للمشروع الصهيوني في المنطقة خاصة وأن التوغل الغربي الاستعماري يحاول أقناعنا أن الاستشراق وسيلة لمعرفة الشرق ونهضتهِ خافياً الأحلام التوراتية للمسيحية الصهيونية وراء الشعارات الاستشراقية من قبيل الحرية، الديمقراطية، حقوق الإنسان، الحداثة، التنوير وغيرها.

فهل يمكن إيجاد صلة بين التوراة والاستشراق، وكيف يمكن ذلك؟ لا شك أن نقد الاستشراق بالهوش المتلبد قد يشوه الفكرة ويعريها، ولكنه يستحيل قطعاً أن يعطيها وزنها الحقيقي، بل سيشوه بعض مكاسب الاستشراق (الأكاديمي الخاص منه)، ويفوت علينا مراجعة الذات وأزمة الثقافة العربية التي يقدم لها الاستشراق الكثير من أدوات النقد البناء إذا ما نجحنا في الاستفادة من محاسنه، صحيح أن كل واحد منا يرفض نقد

الأخر ونتمسك في تلك الذروة بنقصنا ومعايبنا وندافع عنها على أنها أمور تابو مقدسة، وهذا أمر يفتقر للصواب وتشخيص الحقيقة، أعتقد أن تشخيص المرض أهم من العلاج؛ لأن العلاج أي علاج لا يعافي أي مريض بدون تشخيص وتعليمات طبية، الاستشراق بجانب منه شخص عِلل الأمة العربية والإسلامية خاصة الاستشراق الأكاديمي، ولكن نقدنا لهُ وتحاملنا المفرّط عليه جعلنا نصرف ونقدم العلاج لجسد الأمة بدون تعليمات طبية، بل ونحن لم نشخص العلة جيداً، وهذا أكبر أسباب أزمة الإصلاح الديني العربي الذي يرفض لمس جوهر المشكلة لأسباب تقديس التراث الميت والتمسك بتفسيرات الموتى وتأليه المؤسسات الدينية (الحكومية في حقيقتها) مساجد، أوقاف، مجامع فقهية، دور افتاء، ولا نعوّل على الاستشراق كل التعويل ما لم نفصل بين نوعين من الاستشراق: استشراق أكاديمي علمي منهجي، واستشراق سياسي ثقافي تحريض "سكوبائي"، أو برأي "هاشم صالح" هناك استشراق واستشراق ولا ينبغي الخلط بين الأمور لأن المتضرر الوحيد هو نحن وليس أحدٍ سوانها[20].

فالهدف هنا تشخيص علة الاستشراق بموروثه الديني في تأثيره على القدس ومستقبل الشرق الأوسط في ظل البطش الديني وسيادة العقيدة التدبيرية الإلهية والقيم والأفكار الأصولية التي تختزل كل مناطق العالم بنهايتهِ، بحربٍ نووية مدمرة، وصراع حتمي (حتمية الحرب)، وإذا ما كان الأمر كذلك، _ حتمية حرب وضرورة المواجهة _ فما الداعي أذن من الحديث عن السلام، وأحاجي الاستشراق لنشر السلام الكانطي (الروماني – الأمريكي) التي فضحت أيقونة المقدس الديني وهتكهِ، وجلت الصورة الحقيقية عن تحالفهُ مع الاستعمار الجديد.

المحور الرابع: الاستشراق والأصولية المسيحية الصهيونية

بدأت المصطلحات الجغرافية تنساق في قوالب دينية للتعبير والدلالة عن أطماع استعمارية، إمبراطورية توسعية، وجدت ضالتها في الأصولية المسيحية الصهيونية التي صورت التوراة على أنهُ مصنف جغرافي ودليل للرحالة والاستكشافيين والتنقيبين، حيث إشارات التوراة إلى النيل، الفرات، سيناء، بابل، القدس، كلها دلالات جغرافية، بالإضافة إلى حديثها عن جنة عدن؛ كوصف جيولوجي عميق بوجود نهر يسقي الجنة متفرع عنه أربعة أنهر: فيشون، جيحون، دجلة والفرات[21] وبالإمكان تصور حتى درجة انسياب الماء في كل جدول منها وتتبع مصباتهِ على خارطة توراتية مرسومة بصيغة تعابير مقدسة وقطعية الوجود، المثير للشفقة أن تركز التوراة على نهر الفرات دون بقية الأنهر، إذ تورد التوراة أكثر من مائتي نصاً يخص الفرات أمر قد يفوق حديث "ماكندر" و"ماهان" بخصوص الاكتشافات الجغرافية وتأثير الجيبوليتكس.

وإذا كان عزرا كاتب التوراة مثلاً فأن عزرا على ما يبدو خبير جغرافي ومنقب أثار أكثر من أن يكون نبي أو قديس أو حبر وراهب، وهذا ما يفقد النص تماسكه _ يقيناً أن النص مفارق للتأويل الذي شوه مجمل التوراة _ فأن الشواهد المستمدة من النصوص من خارج العهد القديم أثبتت أن بعض قصص العهد القديم مستقاة من مصادر شديدة القدم لا تؤكد تاريخية القصص بل على النقيض تقديم العهد القديم على أنها مجرد حكايات خيالية عن الماضي[22] وتفنيد الكثير من الشواهد والقصص بما فيها ثيمة "السبي"، والترحيل الجبري للسكان، تقف وراء طموحات عسكرية على ما يبدو، تحالف التوراة مع الإمبريالية التي شكلت مفهوماً محورياً في جغرافيتنا السياسية[23] في إطار

أصولية مسيحية صهيونية شديدة التعقيد والتمسك بالأرض بدل الرب، والذي كرستهُ تحالفات الصهيونية السياسية مع المؤسسة الدينية اليهودية بدعم الحاخامات والتركيز على تراث التوراة وتأويله خاصة، وكذلك التلمود (المشناه وجمارا)، لتبرير كل حجج الاستيطان في فلسطين وقيام دولة إسرائيل من أجمل المسيح.

هذا التصور استندت عليه الأصولية المسيحية الصهيونية، لتجعل من التوراة مُجرد مُرشد جغرافي، جيولوجي منزوع القداسة، لتحقيق هدف العقيدة التدبيرية الإلهي الرامي إلى الاستحواذ على القدس، وبعد ضمان تدمير بابل (الاحتلال الامريكي لبغداد 2003) كمقدمة تاريخية، وحرق مرحلة في اتجاه إتمام صفقة القرن التي تتلخص في إعلان القدس عاصمة إسرائيل لوحدها، وحل الدولتين وقيام دولة إسرائيل وترحيل العرب والمسلمين خارج فلسطين، الأردن أو صحراء الانبار؛ كوطن بديل لنقل الفلسطينيين من فلسطين إليها إذا ما تعذر الحل الأردني بدمج الشعبين الأردني والفلسطيني بدولة واحدة في ضوء تفاصيل ورسوم صفقة القرن.

أي يمكننا القول هنا أن هدف الاستشراق الجديد هو السعي الدائم غلى ضمان قوة إسرائيل كدولة عظمى ومتفردة في المنطقة وهذا يتطلب تمزيق وتدمير البلدان العربية برمتها، والإسلامية بدرجة أقل، وهذا ما تضح من احتلال بابل، زرع بذور الفتنة الطائفية، ثورات الربيع العربي، ظهور داعش؛ كتنظيم إرهابي ضد العرب، فالخاسر الوحيد من ظهور تنظيم داعش هم العرب وحدهم دون إسرائيل والمسلمين والغرب.

فهدف الاستشراق الأصولي كما ينجلي في صورة الاستعمار الجديد هو استشراق من أجل قيام دولة إسرائيل العظمى بحدودها التوراتية.

المحور الخامس: الاستعمار والدين: نموذج جديد للحروب الصليبية

أكدت مراحل الاستشراق على نقطة أساسية هو اكتشاف الشرق الأوسط ومحاولة الاستفادة من ثرواته في حالة الضعف والوهن الذي يمر به وتكريس ذلك الضعف والانحطاط عبر سياسات الاستعمار والتفريق والتمزيق وفق نظريات الإمبريالية التي شنتها نيابة عنها الأصولية المسيحية الصهيونية المتمثلة بصدام الحضارات، نهاية العالم القائمة على فكرة "الاستثناء الأمريكي" من خلال أعمال المنظرّين مثل "ريتشارد هوفستاتر"، "سيمون مارتن ليبست"؛ كرمزية للتعالي والغرور الحضاري، لإنتاج الفوضى الخلاقة في ظل عالم يتهاوى التفرد به نحو التشاركية وانقلاب الهيراركية إلى الأسفل بالتزامن مع الصعود الرأسمالي إلى الهبوط، ولا شك في ظل القراءة الماركسية بوجود علاقة بين الإمبريالية والتوسع[24] في تشكل النظرية الكلاسيكية للإمبريالية مع لينين، وليس مع ماركس وإنجلز*.

وهذا قد نجد تبريره عند "كارل ماركس" في البحث عن رأس المال، وما لا يُقبل منهُ ارتباط أدوات البحث عن رأس المال بمبررات عدوانية، توسعية، أو على الأقل لا تقيم وزناً لسيادات الدول، تماماً مثل حل أوروبا للمشكلة اليهودية في استعمار أرضٍ لا صلة لهم بها، وهذا ما لم يبرره "ماركس" اليهودي والملحد وتقبلهُ برحابة الصدر المؤمن والتقي الورع الراهب "مارتن لوثر"، مبرر الطغيان الديني، ثم زاد على علاقة الإمبريالية بالتوسع وتنميطها بمؤثرات الرب والمقدس، ليضعنا التفسير الديني أمام ثالوث مقدس: إمبريالية، توسع، نبوءة، حتى الفتوحات الإسلامية وجدت في توظيف المقدس إما زخم للفتوحات أو داعم للمقاومة، وأبشع من ذاك فعلت الحروب الصليبية.

وفي قراءة لتاريخ الاستعمار في منطقة الشرق الأوسط يمكن إجمال السيطرة العثمانية ومحاولات الفرس على أنها جزء من تلك الطموحات الإمبريالية _ وإن كانت

تسمى الأولى خلافة والثانية امتداد ديني _ إلا أن الحقيقة التاريخية في إطار البحث العلمي لا يمكن النظر إلى الأغيار، كل الأغيار على العالم العربي غير أجانب، أما إذا كانت نوايا الغيّر هو الإصلاح والتطور فعلينا أذن أن نعتبر حملة نابليون بونابرت لمصر 1798 على أنها خلافة، أو اعتبار الخلافة العثمانية احتلال، يجب أن يُستأنف المنهج العلمي والنقد التاريخي أعماله، من أجل إحقاق الحقيقة الخافية، وليس هذا معنى الدراسة وإنما شروح مقدمة لمعرفة دور هرتزل في استغلال الوضع الدولي والموقف العثماني من تطور الحركة الصهيونية من الفكر إلى الممارسة ومن النظرية إلى التطبيق، خارجياً أستغل هرتزل رغبة الدول الأوروبية في تقسيم الدولة العثمانية (الرجل المريض حينذاك)، وهو ما أفصحت عنهُ محادثات سالزبوري أنذاك, والكونت هاتسفيلد الرغبة في إضعاف الدولة العثمانية بإيجاد دويلات للأقليات من بينها اليهود[25].

أما أسباب تخلي المسيح عن إدارة القدس مع أنها ذات أهمية روحية لروما والكاثوليك والبروتستانت وإيلاء إدارتها لليهود، فلخصها باحث في ثمة ملاحظات **أحدها:** حل المسألة الشرقية واعتبار اليهود توافق بين مجمل الاطماع الأوروبية، **ثانيها:** إبطال مناظرة الروم والكاثوليك والبروتستانت حول نفوذ القدس واعطاءها لليهود؛ كطرف محايد، **ثالثها:** توسيع التجارة بين الشرق والغرب بواسطة اليهود الأثرياء، **رابعها:** حل المسألة الإسرائيلية في فرنسا وروسيا وألمانيا، **خامسها:** إتمام نبوءتين عظيمتين احدهما: نبوءة أشعيا، والاخرى: نبوءة أشعيا وميخا[26] ليمتد الاستغلال ذراعيه تالياً على أوروبا وأمريكا بحكم السيطرة اليهودية على المال والإعلام، وهي فكرة

بروتوكولات حكماء صهيون التي نضعها وجهة لوجهة مقابل المؤامرة في الفكر الإسلامي لكنها تبدو منطقية غير موضوعية هنا على الأقل.

المحور السادس: الاستثنائية الأمريكية

يتجدد مطلب الاستشراق الجديد بتحالف المقدس والاستعمار في إطار مركزية جديدة غير الأوروبية، متمثلة بالولايات المتحدة الأمريكية، التي اعتبرت الشرق الأوسط امتداد جغرافي وتاريخي لنفوذها، ومسرح لتنفيذ سياساتها، كاد أن ينتهي عصر الاستشراق إبان مرحلة الثمانينيات والتسعينيات القرن المنصرم، وخيل للناس بأفول الموجات الامبريالية للشرق الأوسط، ليس لإصلاح ونهضة الشرق وتطور عقليته، وإنما بسبب التقدم العلمي الحاصل في الغرب المضاد، وهذه نقطة جوهرية في مستقبل الاستشراق حيث تتوزع أسهم البحث بين نقد العقل والتقدم بسبب تأسيسه لعالم التشيؤ والسيولة، ودور العولمة في تعضيد موقف الصحوة الإيمانية تحت مسمى الأصوليات التي اشترك في تأسيسها الاستشراق الجديد أو ما عرف بمرحلة ما بعد الاستشراق حيث أفكار "صموئيل هنتنغتون"، "برنارد لويس"، قادة الاستشراق الجُدد، مواقف الإنجيليين من زعماء العقيدة التدبيرية: جون داربي، وإنجيزون سكوفيلد، ومن كهنة مثل بات روبتسون، جيري فالويل، هال لندسي، إرفنغ كريستول، وقادة ميدانيين مثل بول وولفتز، تيار المحافظين الجدد [الشتراوسية] على عُلاتها، اليمين المتطرف، الإسلاموفوبيا، البيغيدا، الهوفستاد، الجهاد، عالم ماك، الرأسمالية المتوحشة.

فصعود الأصوليات الدينية: المسيحية الصهيونية، والسلفية الجهادية تم برعاية الاستشراق الجديد حيث رحلة زعماء الامبراطورية الجديدة من جورج بوشي إلى دونالد ترامب أعطى صورة ذهنية عن الشرق مفادها "غنائم حرب"، "أموال بدو" لا وارث لها، أستطيع التهكم بأن هدف الكولونيالية الجديدة هو ميراث ثروة ما زال أبناءها قاصرين غير بالغي سن الرشد، والقوانين والأعراف الدولية الرائجة تتيح لهم وفق القانون تبني

ووصاية الشرق لحين بلوغ السن القانوني، وهو قول يشابه شعار المسيحية الصهيونية: "أرض بلا شعب، وشعب بلا أرض" تماماً، في حين ستعمل تلك الامبراطورية المتحالفة على إبقاء الورثة الفعليين دون نمو أعمارهم لحين استنزاف ونهب وحلب كل مقدرات الشرق الأوسط والحفاظ على نكوصه الحضاري والتاريخي.

فتخلف الشرق سيعضد أمن الكيان الصهيوني ويعزز إرادتهِ في تكريس المشروع الاستيطاني، وهذا هو هدف الاستشراق القديم والجديد حتى نهاية العالم أي بلوغ العالم الانموذج الأمريكي المتمثل بالنقص الحاد عن جوع شديد في الحرية للناس، وبلوغ مرام الديمقراطية الليبرالية[27] ومن ثم الخلاص وظهور المسيح المنتظر في واقعة هرمجدون (القدس) بعد تدمير بابل (العراق)، حيث الفكر اللاهوتي يدعو لإرضاخ الشرق لإذعان الغرب وإبقائه تحت طائلة التخلف لضمان حرب المواجهة "صدام الحضارات" في معركة نهاية الزمان، حيث الوضع العربي اليوم في ظل الأصوليات الإسلامية لا يبشر بأي بارقة أمل في تلك المواجهة، دون أن نلقي بأسباب التخلف على الغرب نفسه، وإنما على العرب والمسلمين، تأخرنا التاريخي نتاج محلي، الهذيان الديني، الإرهاب، العنف، كانت معيقات لتبني العقلانية في العلوم والقيم، البراجماتية في الاقتصاد والسياسة، فـ "العقلانية والبراجماتية هما اليوم رافعتا التقدم"[28] معنى هذا التقدم ذلك هو تفضل الماكنة على كرامة الإنسان، ولهذه النقطة حصراً تأسست الممانعة العربية الإسلامية للتنوير الأوروبي، وللعقلانية، ولعدم فهم الإسلام بروح العصر كان سبب واضح لتفوق كفة الغرب على الشرق، تجاوزنا للتقدم العلمي الذي فشل هو الأخر في تقدم الغرب وساعد على تأخرنا لأننا لم نجد بدائل عن رفض التنوير غير التخلف والنكوص والتمسك بالتراث والحنين إلى الماضي الغار دون جدوى، وفشل محاولات

التنوير العربي نفسها، بل فشل الإصلاح الديني في العالم العربي الإسلامي هو أحد أبرز دوافع تشرب فكر الاستشراق وتحقيق نبوءاته التي ابهرتنا تصوراته بسبب جاهزية العقل العربي على تلقي الخرافة والأسطورة ومرانهُ الشاق على الشعوذة والأوهام، لقد تراجع مشروع النهضة العربية أمام مطالبات التيار الديني في إتاحة الفرصة لتجريب حظوتهِ حتى أوهمنا بأن هزيمة 1967 كانت بسبب الابتعاد عن الدين.

في حين أن اليابان أعظم دولة متطورة كانت لا أدرية، وثنية، بلا دين، أما إذا أردنا أن نرجع سبب الهزيمة الابتعاد عن الدين فعلينا أن نرجع أيض سبب انحطاطنا اليوم في ظل الحكم الإسلامي (تونس، مصر، العراق، لبنان، فلسطين، ليبيا) هو الدين نفسه، في المعيارية ذاتها، مع أن ذلك البراديم يحتاج لمحاطة فلسفية لتقصي حقيقة الدين أولاً، والتمييز بين الدين والتدّين (الأصولية)، وبين الدين والإيمان ثانياً، وهذا الإشكال أوقع العرب في حقل من المتاهات لدرجة بات الوصول إلى الرب عمل شاق بسبب زحمة التدينات، العادات، الطقوس، الشعائر، الروراميز، كان التحولات الكبرى نحو الدينية "اللاهوت المستعار" طبيعية جداً بسبب الانتقال من ظاهرة المركزية الأوروبية إلى المركزية الأمريكية بصرامة واضحة في ظل عقلية التعالي "الاستثنائية الأمريكية" التي تنظر بعين الاستصغار للشرق الأوسط، وهذه أبر تشخيصات طعن ورفض الاستشراق مهما كان موضوعياً على حد قول الإشراقيين.

المحور السابع: نظريات الهيمنة الأمريكية أم نظريات الاستشراق الأصولي

يحمل الاستشراق الجديد في طياته الكثير من التبدلات، الانحرافات في المسار العالمي، حيث المركزية العالمية، المحورية، الحرب على الإرهاب بدل السكون، توسع نطاقه الجغرافي "جيو _ ديني" وفق مقتضيات المصلحة ليشمل كل الفضاء ليجعل من

العالم "مجال حيوي" حر في حدود مرسومة و"مُلجنة"* بالتعبير السبراني، فالاستشراق بوجه الأصولي قدم بصيغ جديدة ومغايرة منها: أن لم يعد موضوعه الشرق عموماً بات الإسلام يشكل هاجسه الأكبر[29] استبدال ادوات البحث العلمي الرصين بالمعلومات الأمنية الاستخبارية للعيون والجواسيس والتقارير السرية ومنظومة جمع المعلومات الاستخبارية، واعتماد عناصر أمن وعملاء "ومخبرين سريين"؛ كمنظرين بدل استقاء المعلومة من باحثين محترمين ومرموقين، والتنبؤ بحوادث صنعتها أجهزة المخابرات نفسها لتصعق العالم بنبوءاتها وتزيد إرعابه مثل هجمات 11 سبتمبر 2001 كما وضحها "تيري ميسان"[30]، ثم السعي لفك أنماط تقليدية متعارف عليها، حتى تشكلت الصورة الوضاءة عن الثقافة الهجين في القيم الرائدة، بات كل شيء يحمل نقيضه حتى الديانات السماوية بتخريجاتها الإيديولوجية، صارت تعبير حيّ عن ذلك التهجين والتنميط بما يناسب استقرار ظاهرة المركزية الأمريكية في كوكب العالم، "الانفصال عن الثقافات الأصلية هو الذي يتيح عزل المعالم الدينية البحتة"[31] ليؤسس لظواهر وقيم جديدة قد تكون الأشد وطأة على مر تاريخ الشرق الأوسط وهي:_ روا

أولاً: تأسيس الاستشراق الأصولي

دافع الاستشراق عن القيم الدينية بقوالبها الإيديولوجية (الأصولوية) لإعادة تأسيس قيم جديدة تتناسب مع سوق العمل، الحديث وارد عن "أصولية سوق" تلبي متطلبات سوق العمل من خلال التوظيف الشائه والمتعمد للمقدس في الدنيوي عبر ضمان انتقال المقدس إلى قوالب إيديولوجية جديدة؛ كالعادات والتقاليد والطقوس والشعائر والتدينات

الشعبية التي أهلت المقدس تجنيداً ليكون طائعا و"سيلاتي" لا "غائي"، نفعوي، ذلك بفواعل الاستشراق التي مهدت لتلك التحولات الكبرى في أمر الدين، والأخير أجهض محاولات العقل من أجل الاستمرار في شاكلة الغزو الثقافي للشرق، استعمار الكوكاكولا لأطهر بقع الشرق قداسة، مكة المكرمة، لم يكن ذلك امراً اعتباطياً، هامشياً بقدر ما كان محاولة لإنهاء مشروع الممانعة ضد الكيان الصهيوني ومتصدرات الغرب الثقافية، والفضل في ذلك ليس للاستشراق أو الاستعمار من تفكيك روابط جبهة الممانعة ضد الأخر، بل يعود للأصولية، وللإسلامية حصراً، فالأصولية تكفلت بالأمر وساعدت الاستشراق _ وهي سليلتهُ _ في كسر جبهة الممانعة وتحول الشرق إلى سوق مفعم بكراكيب الرسملة والقيم الغربية حيث الأسلحة الفتاكة، الممنوعات، المحرمات، الكحول، الحشيشة، المخدرات، حبوب المنع والإجهاض وكل مغريات العالم السفلي.

ثانياً: صدام الحضارات (حتمية التاريخ)

تقوم السياسة الخارجية الأمريكية حيال الشرق الأوسط الآن على نظريتين: هما **نظرية صدام الحضارات** لليهودي الأمريكي صموئيل هنتنغتون، و**نظرية نهاية التاريخ** لفرانسيس فوكومايا بعد أن حدد برنارد لويس "**الخطر الأخطر**" في جذور الغضب الإسلامي[32] التي تنظر للعالم بعيون "كريستوفر كولومبس" على أن الشرق الأوسط والعالم أجمه هو مادة السيد المسيح للتبشير، لهذا أصبحت الولايات المتحدة بتعبير هنتنغتون هي "أمة تبشيرية" وليس مصادفة أن يعلن باحث مثل "صموئيل هنتنغتون" أن دور صدام الحضارات سيهيمن على السياسة العالمية، بعد امتداد مشروع الحداثة الغربي من مسيحية عصر النهضة إلى السوق العالمية المعاصرة[33] بوصفها رأسمالية متوحشة، بقدر ما هي تخطيط مسبق، لمحاولات عديدة، مكرساً للأصولية الإسلامية

على أنها الخطر الكارثي الذي سيحل بالبشرية لغاية الوصول إلى منابع النفط بل لتأمين الكيان الصهيوني فوق كل مطلب واعتبار، وهذا يجلي الحقيقة عن رؤية الغرب للشرق من منظار ديني بحت، توراة، إنجيل، أرض مقدسة، بابل، القدس، هرمجدون، نهاية العالم، أي جر العالم تحت وطأة الخضوع والخنوع وسوقه إلى فكرة التحديث عبر إرغامه بتقبل بضاعة الرأسمالية المتمثلة في مسمى التحديث[34] وهو فكرة ومتبنى فوكوياما الذي بشر بالليبرالية الامريكية؛ كمقصد عظيم للإمبراطورية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين[35] والتطلع لسيادة العالم.

ثالثاً: الكيان الصهيوني: الجهاد ونهاية جبهة الممانعة

حقق الاستشراق وعامل الكيان الصهيوني مكاسب سياسية واقتصادية وثقافية كبيرة من التطبيع الثقافي بين إسرائيل والمحيط العربي _ لا الإسلامي _، بالوقت الذي أرى بضرورة الإبقاء على جبهة الممانعة مفتوحة مع الكيان الصهيوني، إلا اني أتدبر القول بضرورة وقف عملية "الجهاد" ضد الكيان بصيغها الحالية، حيث تحول مفهوم الجهاد ضد إسرائيل انتهى إلى حروب على الفلسطينيين والعالم العربي بغير هوادة، وبلا وعي، أن الجهاد الأصولي الإسلامي أستنزف مقدرات الشعوب العربية وهدد منظومة الأمن القومي العربي أكثر مما عزز قوتها، ومن نتائج الجهاد: زيادة التوسع الاستيطاني الصهيوني، زيادة التفوق الاقتصادي الإسرائيلي، تمزق الجيوش العربية الأقوى تباعاً بعد العراق 2003، مصر 2011، سوريا 2013، اشعال القلاقل في أغلب العواصم العربية، زيد عليه تقارب مصالح الغرب مع الجوار الإقليمي العربي في العبث واستنزاف مقدرات الأمة العربية[36] حيث ساعدت عوامل الجوار العربي على تخطي

حدود التوراة والتفكير بحدود التلمود، أي زيادة الاطماع الصهيونية بالفهم التلمودي (الحدود المطاطية لإسرائيل)، من خلال إشعال فتيل كل دول الممانعة العربية ضد الكيان الصهيوني من جانب، وإشعال فتيل الفتنة داخل فلسطين من جانب أخر.

والنتيجة لم يعد هناك ما يهدد أمن الكيان الصهيوني بعد سقوط بابل وصعود داعش والسلفية الجهادية، والواجب تعطيل الجهاد لحين إصلاح عطب الخلل الكامن في منظومة الفقه الإسلامي المبتدع الذي لا يملك أي أساس قرأني[37]، وفي إعادة النظر في المؤسسات الدينية؛ كمقدمات للإصلاح، فالتنوير العربي في هذه الجزيئية الحاسمة في تاريخ العرب في طي الاندثار، والعقلانية مجرد ثروة من تراث ميت، معفي عليه الزمن، وإلا أين هي جبهة الممانعة العربية اليوم غير خطاب إسلامي مراهق لا يتسم بالعقلانية ولا المعقولية، فالمقاومة الإسلامية لحماس، أو حزب الله، أو الإخوان المسلمين تلاحظ ردود الفعل العكسية أقوى من الفعل نفسه، لذا ننظر بضرورة تقديم مراجعات شاملة لجبهة المقاومة العربية ضد الكيان الصهيوني.

الاستنتاجات والخاتمة: رؤية استشرافية

تتجلى صورة الاستشراق الأصولي في استبدال عوامل الغزو الاستعماري بعوامل جديدة غير مستهلكة تكون أكثر فاعلية، لم تستنفذ قيمها، مثل الموروث الديني، التوظيف الكامل النص المقدس، لذا يمكن احتصار ما يدور في الشرق الأوسط الأن بمنظور لاهوتي ضيق، هو صراع بين الأحلام التوراتية والأحلام القرآنية، دون أن يخفي ورائه التناقضات الحادة داخل كل حلم، صراع الكاثوليك ضد اليهود والبروتستانتية، والتأزم بين العرب وغير العرب من المسلمين في المنطقة العربية خاصة، لكن تبقى واجهة الغزو أوروبا وأمريكا، وواجهة الشرق العرب أولاً، والمسلمين

بدرجة أقل، أي حرب التوراة ضد القرآن على جغرافيا قدستها الكتب السماوية ولم يحسمها تأويلاتها وتفاسيرها التي تعرضت للتزوير والتزييف وطمس مؤكد للحقائق وإعادة البحث عنها بنظرية "حتمية الحرب" والمواجهة.

قد سيشهد الشرق الأوسط تنام فائق ليس بالاستكشافيين والجيولوجيين والرحالة، بل بالكهنة والقساوسة والحاخامات والدعاة للكنيسة المرئية؛ كجيري فالويل وهال لندسي، مقابل مساجد مرئية (فضائيات دينية عربية) تبث سموم الفتنة والشر، وبالتالي سيتأزم وضع الشرق الأوسط في ظل اختصار الحياة الدنيا بفكر أخروي، خلاصي، ختامي، مقولب بمنظور لاهوتي ضيق ينظر إلى العالم من منظور النهايات الأخيرة للكوكب، والذي يتطلب مفاسد ومجازر أكثر ليعود السيد المسيح المنتظر ليملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، وهذا معنى الاستشراق الأصولي في تطابق الأرض والتوراة، المشروط بخلق مقاومة قرآنية للغزو التوراتي.

وبغض النظر عن علاقة الاستعمار بالظواهر الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية أو الدينية، لا يمكن فهم الاستعمار الجديد اليوم بدون معطى الدين، ومؤثرات الدين؛ كأصوليات، تدين شعبي، طقوس، شعائر، نتيجة جملة العوامل التي ذكرنها، دينية أصولية خاصة تتعلق بالبحث عن مونادات جديدة لتغذّية (وتبرير) الاستعمار بوجه استشراقي أصولي جديد يتيح للغرب حجة التوغل في أعماق الشرق الأوسط لتمزيقة وتسهيل احتلاله دون ممانعة عربية إسلامية، يدخل من ضمنها "الغزو الناعم" تصدير مقتنيات العولمة الغربية مثل استعمار الكوكاكولا، مطاعم الكنتاكي، ومن ثم التأسيس ليس لعلم اجتماع ديني يرافق الاستشراق وينقب في عاداتنا وتقاليدنا القديمة، وإن التأسيس لعلم اجتماع أصولي.

الهوامش:

1- د. علي الوردي، **دراسة في سوسيولوجيا الإسلام**، ترجمة: رافد الأسدي، (بغداد_ بيروت: دار الوراق للنشر، 2013)، ص95.

2- صموئيل هنتنغتون، "**صدام الحضارات؟**"، مجلة فورين أفريز، العدد 3، المجلد 73، صيف 1993.

3- مقدمة: تيودور هرتزل، **الدولة اليهودية**، ترجمة: محمد فاضل، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007)، ص19.

4- ستيفن سايزر، **الصهيونية المسيحية: الطريق إلى هرمجدون**، ترجمة: نقولا أبو مراد، ص1، متوفر على الأنترنت..

5- غراهام أليسون، **حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة**، ترجمة: إسماعيل بهاء الدين سليمان، (بيروت_ دمشق: دار الكتاب العربي، 2017)، ص289.

6- تزفيتان تودوروف، **فتح أمريكا: مسألة الأخر**، ترجمة: بشير السباعي، (القاهرة: دار سينا للنشر، 1992)، ص16_17.

7- د. رضوان السيد، **الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2005)، ص107.

8- Richard Anton, **Muslim Preachers in the Modern World. A Jordanian Case**. Princeton University Press, 1989, PP. 26_32.

9- د. رضوان السيد، مرجع سابق، ص107.

10- بيل أشكروفت (وأخرون)، **دراسات في ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية**، ترجمة: أحمد الروبى، (وأخرون)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، (1681)، 2010)، ص105.

11- إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، (بيروت: د. د، د. ت)، ص39.

12- بول فندلي، **لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا**، ط5، (بيروت: شركة المطبوعات، 2010)، ص195.

13- أيدوي بلينيل، **من أجل المسلمين**، ترجمة: عبد اللطيف القرشي، (قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015)، ص19.

14- جريس هالسل، **يد الله: لماذا تضح الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: مكتبة الشروق للنشر، (د. ت))، ص109_111.

15- أنظر: إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاث ألاف سنة**، ترجمة: صالح علي صالح، (بيروت: دار بيسان، 1995)، ص20.

16- سفر التكوين، الإصحاح 15 – الآية 18.

17- ماهر يونان عبد الله، **الدولة الدينية في اليهودية والمسيحية** والإسلام، ط2، (القاهرة: دار سطور الجديدة للنشر، 2011)، ص18.

18- كيث وإيتلام، **اختلاق إسرائيل القديمة**، ترجمة: سحر الهنيدي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، (249)، 1999)، ص50.

19- كارين ارمسترونغ، **تاريخ الكتاب المقدس**، ترجمة: د. محمد صفار، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2020)، ص38.

20- د. هاشم صالح، **من الحداثة إلى العولمة: رحلة في الفكر الغربي وأثرها على الفكر العربي**، (الرياض: وزارة الثقافة والإعلام, كتاب المجلة العربية (2)، 2011)، ص290.

21- سفر التكوين، الإصحاح 2، (10-14)

22- توماس ل. تومسون، **اسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (185)، 2000)، ص32.

23- بيتر تيلور، كولن فلنت، **الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر: الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات**، ترجمة: عبد السلام رضوان، د. اسحاق عبيد، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، (282)، 2002)، ص188.

24- مايكل هاردت، أنطونيو نيغري، **الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة**، ترجمة: فاضل جتكر، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2002)، ص328.

* نذكر في هذا الصدد أن الإمبريالية لم تكن من اهتمامات ماركس أو انجلز ولم يدرس تأثيرات الرأسمالية على الأطراف وإنما لينين الذي بدأت بهِ نظرية الإمبريالية تأخذ مسارها الطبيعي في العالم الحديث.

25- د. حسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897_1909**، ط2، (بيروت: دار النهضة العربية، 1999)، ص107.

26- المرجع نفسه، ص108.

27- فرانسيس فوكوياما، **أمريكا على مفترق طرق: ما بعد المحافظين الجدد**، ترجمة: محمد محمود التوبة، (الرياض: العبيكان للأبحاث والتطوير، 2007)، ص80.

28- العفيف الأخضر، **من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ**، (برلين _ بغداد: منشورات الجمل، 2014)، ص12.

* أي تحديدها بلجنة دولية معرفة.

29- د. طيّب تيزيني، **الأصولية بين الظلامية والتنوير ولواحق أخرى متممة**، (دمشق: دار جفرا للدراسات والنشر، 2012)، ص168.

30- راجع: تيري ميسان، **11 أيلول 2001 الخديعة المرعبة**، ترجمة: سوزان قازان، ومايا سلمان، (دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 2002).

31- أوليفييه روا، **عولمة الإسلام**، ترجمة: لارا معروف، (بيروت: دار الساقي، 2003)، ص70.

32- برنارد لويس، إدوارد سعيد، **الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية**، (بيروت: دار الجيل للنشر، 1994)، ص9_32.

33- إدوارد سعيد، **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة: كمال أبو ديب، ط3، (بيروت: دار الآداب للنشر، 2004)، ص82.

34- فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص80.

35- غاري هارت، **القوة الرابعة: الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين**، ترجمة: محمد التوبة، (الرياض: مكتبة العبيكان للنشر، 2005)، ص89.

36- أنظر: تريتا بارزي، **حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وايران والولايات المتحدة الأمريكية**، ترجمة: أمين الأيوبي، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008).

37- كروث إيرناندیث، **تاريخ الفكر في العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد العالم صالح، المجلد الأول من البدايات حتى القرن الثاني عشر، ط2، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1/1322، 2016)، ص78.

قائمة المصادر

الكتب المقدسة

ـ التوراة: سفر التكوين، الإصحاح 15 – الآية 18.

اولا: المعاجم والقواميس

1- إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية**، (بيروت: د. د، د. ت).

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

1- إدوارد سعيد، **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة: كمال أبو ديب، ط3، (بيروت: دار الآداب للنشر، 2004).

2- إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاث ألاف سنة**، ترجمة: صالح علي صالح، (بيروت: دار بيسان، 1995).

3- العفيف الأخضر، **من محمد الإيمان إلى محمد التاريخ**، (برلين _ بغداد: منشورات الجمل، 2014).

4- أوليفييه روا، **عولمة الإسلام**، ترجمة: لارا معروف، (بيروت: دار الساقي، 2003).

5- أيدوي بلينيل، **من أجل المسلمين**، ترجمة: عبد اللطيف القرشي، (قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث، 2015).

6- برنارد لويس، إدوارد سعيد، **الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية**، (بيروت: دار الجيل للنشر، 1994).

7- بول فندلي، **لا سكوت بعد اليوم: مواجهة الصور المزيفة عن الإسلام في أمريكا**، ط5، (بيروت: شركة المطبوعات، 2010).

8- بيتر تيلور، كولن فلنت، **الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر: الاقتصاد العالمي، الدولة القومية، المحليات**، ترجمة: عبد السلام رضوان، د. اسحاق عبيد، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، (282)، 2002).

9- بيل أشكروفت (وأخرون)، **دراسات في ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية**، ترجمة: أحمد الروبى، (وأخرون)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، (1681)، 2010).

10- تريتا بارزي، **حلف المصالح المشتركة: التعاملات السرية بين إسرائيل وايران والولايات المتحدة الأمريكية**، ترجمة: أمين الأيوبي، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008).

11- تزفيتان تودوروف، **فتح أمريكا: مسألة الأخر**، ترجمة: بشير السباعي، (القاهرة: دار سينا للنشر، 1992).

12- تيودور هرتزل، **الدولة اليهودية**، ترجمة: محمد فاضل، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007).

13- توماس ل. تومسون، **اسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي**، ترجمة: عبد الوهاب علوب، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (185)، 2000).

14- تيري ميسان، **11 أيلول 2001 الخديعة المرعبة**، ترجمة: سوزان قازان، ومايا سلمان، (دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 2002).

15- جريس هالسل، **يد الله: لماذا تضح الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: مكتبة الشروق للنشر، (د. ت)).

16- حسان حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897_1909**، ط2، (بيروت: دار النهضة العربية، 1999).

17- رضوان السيد، **الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2005).

18- ستيفن سايزر، **الصهيونية المسيحية: الطريق إلى هرمجدون**، ترجمة: نقولا أبو مراد، ص1، متوفر على الأنترنت.

19- طيّب تيزيني، **الأصولية بين الظلامية والتنوير ولواحق أخرى متممة**، (دمشق: دار جفرا للدراسات والنشر، 2012).

20- علي الوردي، **دراسة في سوسيولوجيا الإسلام**، ترجمة: رافد الأسدي، (بغداد_ بيروت: دار الوراق للنشر، 2013).

21- غاري هارت، **القوة الرابعة: الاستراتيجية الكبرى للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين**، ترجمة: محمد التوبة، (الرياض: مكتبة العبيكان للنشر، 2005).

22- غراهام أليسون، **حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة**، ترجمة: إسماعيل بهاء الدين سليمان، (بيروت_ دمشق: دار الكتاب العربي، 2017).

23- فرانسيس فوكوياما، **أمريكا على مفترق طرق: ما بعد المحافظين الجدد**، ترجمة: محمد محمود التوبة، (الرياض: العبيكان للأبحاث والتطوير، 2007).

24- كارين ارمسترونغ، **تاريخ الكتاب المقدس**، ترجمة: د. محمد صفار، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2020).

25- كروث إيرناندیث، **تاريخ الفكر في العالم الإسلامي**، ترجمة: عبد العالم صالح، المجلد الأول من البدايات حتى القرن الثاني عشر، ط2، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1/1322، 2016).

26- كيث وإيتلام، **اختلاق إسرائيل القديمة**، ترجمة: سحر الهنيدي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، (249)، 1999).

27- ماهر يونان عبد الله، **الدولة الدينية في اليهودية والمسيحية** والإسلام، ط2، (القاهرة: دار سطور الجديدة للنشر، 2011).

28- مايكل هاردت، أنطونيو نيغري، **الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة**، ترجمة: فاضل جتكر، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2002).

29- هاشم صالح، **من الحداثة إلى العولمة: رحلة في الفكر الغربي وأثرها على الفكر العربي**، (الرياض: وزارة الثقافة والإعلام, كتاب المجلة العربية (2)، 2011).

ثالثاً: الصحف والدوريات

1-صموئيل هنتنغتون، "**صدام الحضارات؟**"، مجلة فورين أفريز، العدد 3، المجلد 73، صيف 1993.

رابعاً: اللغات الأجنبية

1-Richard Anton, **Muslim Preachers in the Modern World. A Jordanian Case**. Princeton University Press, 1989, PP. 26_32.